

أضواء البيان

@ 552 { كُـلُّ * } ، أي : كل من المصلّين قد علم صلاة نفسه ، وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه ، وعلى هذا القول فقوله تعالى : { وَاللّٰهُ عَـلَـيْمٌ بِـِمَا يَفْعَـلُـوْنَ } ، تأسيس لا تأكيد ، أمّا على القول بأن الضمير راجع إلى { اللّٰهُ } ، أي : قد علم اللّٰهُ صلاته يكون قوله : { وَاللّٰهُ عَـلَـيْمٌ بِـِمَا يَفْعَـلُـوْنَ } كالتكرار مع ذلك ، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي . .

وقد علمت أن المقرر في الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد ؛ كما تقدّم إيضاحه . والظاهر أن الطير تسبّح وتصلّي صلاة وتسبيحًا يعلمهما اللّٰهُ ، ونحن لا نعلمهما ؛ كما قال تعالى : { وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَـُٔسِّبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلاَ يَكُن لَّا تَفْقَهُـُٔوْنَ تَسْبِيحَهُمْ } . .

ومن الآيات الدالّة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه اللّٰهُ ونحن لا نعلمه ، قوله تعالى في الحجارة : { وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يَـُٔسِّبِّحُ بِحَمْدِهِ } . والخشية تكون بإدراك . وقوله تعالى : { لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ } ، فأثبت خشيته للحجارة ، والخشية تكون بإدراك . وقوله تعالى : { لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ } ، وقوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَاهَا لِآلِهِنَا وَإِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَاهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا } ، والإباء والإشفاق إنما يكونان بإدراك ، والآيات والأحاديث واردة بذلك ، وهو الحق . وظاهر الآية أن للطير صلاة وتسبيحًا ، ولا مانع من الحمل على الظاهر ، ونقل القرطبي عن سفيان : أن للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ، اه . .

ومعلوم أن الصلاة في اللغة الدعاء ، ومنه قول الأعشى : ومنه قول الأعشى : % (تقول بنتي وقد غربت مرتحلا % يا ربّ جذّب أبي الأوصاب والوجعا) ، ومنه قول الأعشى : % (عليك مثل الذي صليت فاغتبطي % نومًا فإن لجنب المرء مضجعا) % .

فقوله : مثل الذي صليت ، أي : دعوت ، يعني قولها : يا ربّ جذّب أبي الأوصاب والوجعا .

وقوله : { صَافَّاتٍ } ، أي : صافّات أجنحتها في الهواء . وقد بيّن تعالى في غير هذا الموضع أن إمساكه الطير صافّات أجنحتها في الهواء وقابضات لها من آيات قدرته ، واستحقاقه العبادة وحده ، وذلك في قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ إِسْرَارٍ وَمَافَّاتٍ وَلاَ يَقْبِضُنَّ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّّحْمَـٰنُ } ، وقوله تعالى : {

أَلَمْ يَرْوِ الْإِسْلَامُ بِطَرَفٍ مُسَخَّرَاتٍ